التمَردُ في شِعرِ الشَّيْخِ الدّكتورِ أحمَدَ الوائلي

Rebellion in the Poetry of Dr. Ahmed AL-Waeli

م. د جواد عودة سبهان [١]
Lect. Jawad Auda Sabhan

م. د فلاح عبد علي سركال [٢]
Lect. Falah A. A. Sirgal

الملخص

تُعنى هذه الدراسة برصد نزعة التمرد في شعر الشيخ أحمد الوائلي، بوصفه شاعراً ثورياً، مجبولاً على روح الوطنية والقومية والارتباط بالجماهير؛ إذ شكلت الأحداث التي عاصرها في العراق والوطن العربي المادة الأولية لشعره واضعاً نصب عينيه تنبيه الجماهير على تقوية الشعور الإنساني والكشف عن مواقع الخلل والفساد ومحاربة من يقف بوجه طموحهم في التحرر والحياة السعيدة.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين، أما التمهيد فتضمن مفهوم مصطلح (التمرد) ليكون مدخلاً مناسباً إلى موضوعات البحث ذات الصلة بهذا المصطلح، وأما المبحث الأول فإن الحديث فيه جاء عن التمرد السياسي. وعقد الباحث في المبحث الثاني دراسة عن التمرد الاجتماعي. ثم جاءت النتائج التي تراءت لنا من خلال المبحثين، فأوجزنا ما توصلنا إليه، فثبت بمصادر البحث ومراجعه.

Abstract

This study means to make a monitoring on the(Rebellion Poetry in Sheikh Ahmed AlWalie's Poetry. He was a revolutionary poet. The poetry reflects his National and patriotically sense That influence the citizens' link with themselves. The events or actions which are formed in Iraq and Arab world affected on him,so it was regarded as material raw to form his poetry He

---

١- مديرية تربية كربلاء.
٢- جامعة كربلاء/ كلية التربية الإنسانية.

tried to provoke the attention of the citizens to strengthening the human feelings,and to diagnosis the defects and corruption inside their society Also, it was a good chance to raises the ability to stand against those who want to forbid on This study is formed or written as a preface and two researches. As far as the preface is concerned,it includes the conception of (Rebellion)" to be a good entry to the subjects of the research that associated with this concept.

For the first research,it discusses the (political rebellion). But, the researcher deals with the (Social Rebellion) in the second research. All the results are formed within the two researches. So, we conclude all these facts that will be proved in the sources of the research and its references.

التمهيـد: مفهوم التمرد لغةً واصطلاحاً

ابتداءً، إنَّ التعرف على مصطلح (التمرد) من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية ضرورة ملحة؛ لأن هذا المصطلح قد يتردد وهو مقترن بشيء من النفور، بوصفه أمراً سلبياً في ظاهره على الرغم من انه قد يتصف بالايجابية، بوصفه يكشف عن عناصر كامنة في الإنسان تتطلب الدفاع عنها والحفاظ عليها.

ولعل المتصفح للمعجمات اللغوية يلحظ أنها قد أحاطت بمصطلح التمرد من جميع جوانبه، فقد ورد في معجم (العين): «تمرد عليه أي عصا واستعصى، وتمرد على الشيء أي: عتا وطغى»[٣].

وفي (لسان العرب): مرُد على الأمر بالضم، وتمرّد أقل وغنا، مَرَد الإنسان مروداً: يعني طغى وجاوز حد أمثاله، أو بلغ غاية يخرج بها من جملتهم[٤].

وفي المعجم الوسيط ورد: «تمرّد: عصى في عناد وإصرار، ويقال تمرد على قومه»[٥].

ومن هذا العرض اللغوي يظهر أن معنى التمرد يعني العصيان والعتو والخروج عن المألوف في معناها الاشتقاقي.

وبعد لا بد من معنى لهذا المصطلح (التمرد) عند الاصطلاحيين في ضمن المفاهيم النفسية والفلسفية والأدبية، فأما المفهوم النفسي فهو: «نمط سلوكي مبالغ فيه خارج عن حد المألوف أو حد السواء، وهو شعور بالرفض لكل ما يحيط بالفرد وما يترتب عليه من سلوك قد يتصف بالعداء والكراهية والازدراء لكل ما اصطلح عليه المجتمع من قيم وعادات ونظم»[٦].

ويبدو أن هذا المفهوم يوضح التمرد عموماً من خلال كونه سلوكاً رافضاً لكل ما استقر عليه المجتمع وألفه من عادات وتقاليد أدّت إلى التمرد.

و أما المفهوم الفلسفي فهو موجه: «إلى رفض قاطع لتعد لا يطاق، والى يقين مُبهم بوجود حق صالح فلا بد للتمرد من أن يكون مقترناً بشعور المرء بأنه على حق بصورة ما، وفي مجال ما»[٧]، وتجدر

٣- العين: الفراهيدي، مادة (مرد).

٤- لسان العرب: ابن منظور، مادة (مرد).

٥- المعجم الوسيط: لجنة من علماء اللغة، مادة (مرد)، وينظر: مقدار اللغة لأحمد بن فارس، والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

٦- العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد، خولة محمد زايد، رسالة ماجستير: ٧.

٧- الإنسان المتمرد: البير كامي: ١٧.

الإشارة هنا إلى أن هذا المفهوم لا يتعارض مع المفهوم النفسي، بل يسايره جنباً إلى جنب، ويوضحه ويفصل ما أجمله.

وعن مفهوم التمرد الأدبي يرى الدكتور عناد غزوان بأنه: «مظهر من مظاهر الثورة الداخلية في نفس الأديب ووجدانه، تخلقه ظروف خاصة ترتبط بأحداث عصر الأديب، حين يرتفع صوت الشاعر معلناً تجنيد لـــ (لا) اكثر من مرة، وهذا الـــ (لا) جواب مريد عن خلجات نفس ثائرة تأبى الإذعان لأمر لا تقره اصلاً ولا تعترف بوجوده»(٨).

ويمكن أن نتحسس المفهوم الذي عناها الدكتور عناد عن طريق الجمع بين المفهوم الفلسفي والنفسي هو ذاته السلوك الرافض للعادات والتقاليد التي ادت الى الحالة الدافعية المتولدة نتيجة حرية الفرد.

وهناك من يقسم التمرد إلى تمرد سلبي وآخر حقيقي فالذي «لا يحقق أهدافه ويكتفي بإظهار الرفض من دون بديل تمرد سلبي. . . ، والحقيقي. . . من يعرف بديل ما يرفض، وأن الإنسان لا يستطيع أن يرفض رفضاً حقيقياً إلا إذا كان يعرف بديلاً حقيقياً»(٩).

ويكاد الباحث أن يتلمس من هذا التقسيم شرط وجود البديل الذي يقدمه الرافض وعدم الاكتفاء بمجرد الرفض، لأن تمرده حينئذ يكون تمرداً سلبياً أو فوضوياً.

ومما تقدم يتضح أن التمرد: ظاهرة اجتماعية استمدت نسقها من واقع الشاعر في داخل المجتمع الذي ينتمي إليه؛ لان ذات الشاعر بطبيعتها ذات متمردة، تبحث دائماً عن كل ما يميزها ويفردها من سواها، لذا تجلت في مواقف السخط والرفض، ومحاولة إيجاد البديل بوعي له تحديات وبنيان.

المبحث الأول: التمرد السياسي

أولا: التمرد على الحكام:

شهدت الأمة العربية في القرن العشرين أحداثاً مهمة عصفت بمجريات حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. لذا لم تهدأ حدة التوتر السياسي حتى تفاعل معها الوائلي، فاندلع لسانه ليشارك الأمة في محنتها الوطنية والقومية وليعبر فيه عن مشاعره الثورية، ويدين سياسة المحتل الأجنبي وسياسة الحكام العرب الذين ما توانوا ينهجون مع شعوبهم نهج الذئب مع قطيع الأغنام، وقد أبدى تهكمه من هؤلاء وفضح زيفهم لأنهم ضربوا المبادئ ودمروا النفوس وضللوا الناس بالشعارات الكاذبة فعاشوا وأعوانهم في نعيم بينما تقاسي شعوبهم من الجوع والحرمان.

لقد سما الوائلي بمواقفه الوطنية والقومية حتى قال: «احتضنا هموم الساحة العربية والساحة الإسلامية، في واقع الأمر ما ينوب المسلمين ينوبنا في شرق الأرض وغربها ونظم فيه الشعر، وحتى ممن نخالفهم في الرأي، لأننا نرى أن الخلاف في الرأي علامة من علامات إثراء الفكر، ولا نتخذ منه وسيلة للتقاطع أو التدابر»(١٠)، ومن هنا نستنتج أن تمرد الوائلي كان تمرداً على الوضع السياسي العام الذي ساد البلاد. فعلى الصعيد الوطني، تركت الأحداث السياسية التي مرّ بها العراق بصماتها واضحة في شعره، فكان

٨- أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات أخرى: د. عناد غزوان: ١٠١.
٩- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل: ٤١١.
١٠- قرص ليزري (CD) مقابلة مع د. الشيخ الوائلي في ١٦/١٠/١٩٩٦.

شعره سجلاً تاريخياً لأحداث تلك الحقبة المهمة من تاريخ العراق، فعلى الرغم من أن المدة ما بين ولادته وبين ثورة العشرين ثماني سنوات، إلا انها لم تغب عن ذاكرته، كما لم تغب عن ذاكرة كل عراقي؛ ففيها على ارض الوطن شواهد لا تمحى ذكرها إذ انتقم الإنجليز من رجال الثورة وجنودها وأهلها، فوقف يثير الهمم ويشد العزائم لأمة احتفلت بتأريخ عظيم يوم وقفت:

ففي الرميثة من ّها ماتنا سمة — وفي الشعيبة من أسلافنا نصبُ
والعارضات أمجاد مخلدة — أضحى يحدّث عنها الدهر والكتبُ
فالجوّ طائرةٌ والأرض قنبلةٌ — وبالجهات البواقي مدفعٌ حربُ
وقضت بحراً دماء الصيد ترقده — وما السفائنُ إلا الضُّمر العُربُ
ثُم انجلت وحشود من أحبتنا — صرعى على القاع تسفي فوقها التربُ
حتى احتضنا أمانينا وصار لنا — بين الممالك من جاراتنا لقبُ
جاء الزعانف من حلف الفضول — ومن أذنابه فأرانا أننا الذنبُ
انحنى بمنجلة حصداً او خلّفنا — لا سلة يُجتنى فيها ولا عنبُ(11)

ويتمرد الوائلي على مؤيدي الاشتراكية من الحاكمين المستبدين الذين يحملون مبادئ تتناقض مع الشريعة الإسلامية والذين يخدعون شعوبهم بشعارات براقة جوفاء، فهم يعيشون في قصورهم المرفهة، والشعب يذوق لباس الجوع والخوف والحرمان، يقول:

إشتراكيةٌ لهم من جناها — كُل صفوٍ للشعوب القديُ
في شعارات كاد حبين ولكن — كُل فردٍ لديه درٌّ نضيدُ
فارهاتٌ من المراكب تختا — ل وبيضٌ من الأوانس غيدُ
وليالٍ حمرٌ وأصباح خضرٌ — وصدورٌ مجلّوة ونهودُ
واكدحي يا مناكب العري حتى — تتهادى للحاكمين قدودُ(12)

وقوله من قصيدة (كواذب الأحلام):

إشتراكيةٌ ولكن بجوعٍ — وسجودٍ لحضرة الأصنام
عندها الفقر للجماهير والثر — وةُ ملك الأنصاب والأزلام
ترسمُ العُهر شرعَ كل فتاةٍ — والضلالات دين كلّ غلام
ضيعوا أرضنا وباعوا أمانيـ — ـنا وحطّوا أنوفنا بالرغام(13)

ثم يقف الوائلي رافضاً وكاشفاً زيف بعض التيارات السياسية والفكرية التي أُريد لها أن تستوعب الأمة، فيقول:

والأرض يحكمها رهطٌ وإن نزلوا — لا ينسبون الى ما جدّ من نظم
لو ساوموني حصىً من تحت أرجلهم — بانجم الاشتراكيين لم أسم
الكاذبين على التأريخ والمُثل الـ — ـغراء والعلم والاخلاق والقيم

11- الديوان: 8–9.
12- م. ن: 11.
13- م. ن: 379 – 380.

والحاملين شعار الكادحين وهم — محضُ افتراءٍ على العمال مُتّهم
والمدعين التساوي والسماء لهم — والأرض والناس اصناف من الخدم[١٤]

وهكذا سار شعر الوائلي متصاعداً شعلاً ولظىً محولاً التمرد الذاتي إلى تمرد عام، فالحكام في شعره يتصفون بالكذب على التاريخ والعلم والأخلاق والقيم متخذين شعارات الكادحين محض افتراء.

وأما الوضع السياسي الذي شهده العراق بعد سقوط النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ فكان وضعاً حرجاً من تأريخه، كان يؤثر تأثيراً كبيراً في الحياة العامة الاجتماعية، فيكشف الوائلي فساد هذا الواقع فيقوم بالتعبئة الشعورية والفكرية ليستنهض أشياء شعبه بالعمل الثوري[١٥]. وقد انبرى يدافع عن أفكاره المستمدة من روح الإسلام، لا في شعره فحسب، فقد انتمى إلى (حركة جماعة العلماء) في النجف الأشرف، وكان من الأعضاء الأوائل الذين أسهموا في إنشاء هذه الجماعة من نخبة من أعلام النجف، وفيهم جيل من الفقهاء والأساتذة، من أمثال الشيخ مرتضى آل ياسين، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد موسى السيد جعفر بحر العلوم، وكان من مهام الجماعة السعي إلى إعلاء كلمة الله تعالى، والتنبيه إلى مظالم الشعب العراقي، فكان الوائلي محاجياً لدوداً ومخاصماً عنيداً للشيوعية في مدة شهدت عنفوان المد الشيوعي في العراق، وعندما قام عبد الكريم قاسم بتقريب الشيوعيين من سلطته، استغل الشيوعيون هذا الموقف وذلك عن طريق القيام بتخريب الجوانب الفكرية والسياسية والتربوية[١٦]، وهذه الرؤية يحملها الوائلي الذي لم يتوان في التعرض لسياسة عبد الكريم قاسم وانتقادها، فجاءت صرخته تسجل هذا الواقع المرير من عمر العراق السياسي، فيقول:

وعاد يزأر في النّادي الوديع فتىً — مُفيهق صوته كالصخر ينحدر
يحكي البطولات كالصبيان ان ركبوا — عصّيهم حسبوها الخيل تبتدرُ
وحولهُ نفر يروون من خدعٍ — لهُ الهديرُ ليروي انهم هدروا[١٧]

نلحظ أنَّ الوائلي بدأ نصه بـ (وعاد يزأرُ) فيجرده من إنسانيته ويصفه بالأسد ولكن في غير موضعه، واستعان لتصوير ذلك بالاستعارة المكنية كما نعته بالمفيهق، وفي هذا الأسلوب سخرية واضحة، وينتقل بصورته إلى سياق آخر وهو التشبه المرسل بقوله: (صوته كالصخر)، كما ألبس هذا التعبير ثوباً آخر (يحكي البطولات كالصبيان)، فقد شبه الحاكم بالصبيان الذين يركبون عصيهم مشبهاً هذه العصي بالخيل، وإن هذا التكثيف في التشبيه أثبت فيه الوائلي نقمته وتمرده على الحاكم.

وقد تفاقم وضع العراق سوءاً على عهد عبد السلام عارف الذي عمل على إثارة النعرات الطائفية والجاهلية لتيسير سبل السيطرة على أبناء الشعب، مما دعا الوائلي إلى مهاجمة الوضع القائم:

فيا باعثيها نعرةً جاهليةً — (محمدُ) وأراها التراب تورعوا
عذرتُكم لو أن ما تبثونه — غطام ولكن جيفة وهي أبشعُ
ولو أن ما تبغونه من ورائها — خفيٌ لقلنا عابث سوف يقلعُ

١٤- الديوان: ١٠.
١٥- ينظر: الشعر والثورة، د. جلال الخياط: ١٩.
١٦- ينظر: أمير المنابر: ١٢٦.
١٧- الديوان: ١٢.

ولكنهُ الكرسي مهما برعتم	الخداعُ يغطي رأسه ثم يطلعُ[18]

استعان الوائلي لتصوير ذلك الوضع بـــ (ياء النداء) إذ عكست أثرها الدلالي بالمناداة بها لأوصاف متتالية تظهر تمرده، وبمثل هذه التوظيفات يثري الشاعر نصه

بروح التمرد والتحدي لمظاهر الانحطاط والتردي التي حاول أن يؤججها في جو النص.

ولا شك في أن تفاقم الوضع السياسي والاجتماعي في العراق يتحمله عبد السلام عارف، فالشاعر يعين الناس على «الرؤية الصادقة بإلقائه الضوء على الأقنعة التي تستر الوجوه البشعة لكل ما هو رجعي متخلف»[19]، فيقـــول:

محمدُ هل يرضي جهادك تافه	تستّر بالإسلام وهو مضـيعُ
يُهملجُ في أعقاب كلّ مضـللٍ	فلا النصحُ يثنيه ولا هو يسمعُ
يُخرِّفُ في غلط تنافر نسجه	يؤدُّ ويؤذي السمع حين يُجعجعُ
فطوراً الى غربٍ يمتُّ بقوله	وطوراً الى شرقٍ يمّتُ وينزعُ
وطوراً يؤاخي من نسيج خياله	نقائض فأعجب للنقائض تجمعُ
مفاهيمُ لينينة في جذورها	عليها من اسم الله ثوبُ وبرقعُ[20]

يعرض الوائلي في هذه الأبيات بعبد السلام عارف ويحمله المسؤولية للحالة المتأزمة التي وصل إليها العراق، ويصب عليه انتقاده الشديد دون مواربة أو وازع من خوف، وغير مكترث بنتائج ذلك التعرض.

وفي قصيدة (رسالة الشعر) التي أحدثت هزة عنيفة عندما ألقاها في بغداد سنة ١٩٦٥ في مؤتمر لأدباء العرب الخامس وأمام حشد كبير من العرب والعراقيين، لأنها تحمل صفة التمرد على الحكم الذي عمل على استلاب الشعب واستغلاله من خلال ترسيخ الطبقية وانتفاء العدالة في توزيع الخيرات، قال فيها:

بغدادَ يومك لا يزالُ كأمسهِ	صورٌ على طرفي نقيض تُجمعُ
يطغى النعيم بجانب وبجانبٍ	يطغى الشقا فمرفه ومضيعُ
في القصر أغنية على شفة الهوى	والكوخ دمع في المحاجر يلذعُ[21]

لقد اعتمد الوائلي في نصه أسلوب المطابقة في تصوير بغداد التي حكمها الطغاة طوال قرون وهي ما تزال تجمع بين صورتين متناقضتين النعيم الذي يرفل به الطغاة، و الشقاء الذي يطغى على أبناء الشعب؛ وهي صورة حقيقية لم تتغير من وجه العراق البائس طوال قرون، فـــ(اليوم، والأمس) و (النعيم، والشقاء)، و(مرفة، ومضيع)، و (القصر، والكوخ)، «من مقومات التعبير، لأنها تعتمد على عرض الأضداد والمتناقضات»[22]، وهي كلمات أراد بها الوائلي محاكمة الواقع والتمرد عليه؛ فالكلمة تُشكل مع الكلمات الأخرى دلالات وإيحاءات في ضمن النص الشعري ففي «علاقة التضاد بين الكلمة مع

١٨- م. ن: ١٥.

١٩- الشعر والثورة: د. جلال الخياط: ٩٨.

٢٠- الديوان: ٩٩.

٢١- الديوان: ٣٣٠.

٢٢- البلاغة العربية: المعاني والبيان والبديع، د. أحمد مطلوب: ٢٨٨.

الأخرى ينشأ التضاد داخل الصورة الشعرية، أي تتكون الصورة من كلمتين متضادتين، وهذا التضاد يحمل رؤية الشاعر لواقعه المتناقض والمضطرب ويحمل رؤيته المتشائمة حيال ذلك الواقع»[٢٣]، وقد انعكس ذلك الواقع على نفس الوائلي فصوره أدق تصوير سواء كان ذلك «مرتبطاً بذاته أي داخلياً أم مرتبط بموقف اجتماعي أو سياسي أو وطني»[٢٤]؛ لذا شبه الوائلي يوم بغداد في ظلمه وجوره أمسها القاتم معززاً ذلك بالفعل (لا يزال) الدال على الاستمرارية، وبتآزر هذا التشبيه مع الاستعارة المكنية (يطغى النعيم—يطغى الشقا)، ساعد على إظهار تمرده في تشكيلات بليغة مواكباً في ذلك الأحداث السياسية التي مر بها العراق.

لم تهدأ الساحة السياسية في العراق، فقد شهدت في السنوات اللاحقة أوضاعاً أكثر تعقيداً وسوءاً بسبب استيلاء النظام البعثي الظالم على الحكم؛ فذاق الشعب على عهده أقسى انواع الظلم والتنكيل وقتل الكثير من العلماء والمفكرين ومن عامة الشعب، وتسبب في حروب تدميرية جرياً وراء أهوائه وأطماعه، فصور الشاعر معاناة شعبه الجريح في صور حزينة يغلب عليها أنواع الأسى والقهر الذي مني به على يد ذلك النظام، كما في قصيدته (سماسرة الحرب) التي تبرز أبشع صور الحيوانية التي وصل إليها، يقـــول:

ملأتُم رباع الأرض بالنوح والندّب ... كفاكم دماءً يا سماسرة الحرب
لقد أصبحت صهباؤكم وكؤوسها ... جراح بني الإنسان في الشرق والغرب
فأين عصور هذّبت من غرائزٍ ... وسارت مع الإنسان من أول الدرب
لتسمو به عن غابةٍ وابن غابةٍ ... وعن خلق العربيد والثعلب الخبّ
تيقظ فيه الليل وارتد ثانياً ... الى الطبع وانزاح الذي جاء بالكسب
وعدنا لدنيا الغاب في كل ما بها ... وحوشاً تغطي مخلب الوحش بالثوب
فليست دمانا سلعةً تشترونها ... وما للدما أثمان عند ذوي اللبّ[٢٥]

إن وعي الشاعر في رفضه تجارة الحروب والتمرد عليها يعطي صورة حقيقية للواقع، فيوحي لنا ما عليه الشعب، ينقلها إلينا الشاعر في صيغة حوارية، اذ يصطدم فيه بالواقع الذي يتعرض أمانيه في توقه إلى عالم الحرية لذا لجأ إلى قافية (الباء) وهو صوت شديد مجهور أراد به أن يظهر قوة المعاناة والجور الذي كان يعانيه الشعب وهذا ما يتناغم مع طبيعة التجربة الشعرية التي كان يعيشها ويتفاعل معها، وصوت (الباء) يُعطي موسيقى قوية وضخمة تنسجم مع الانفعال الشديد الذي ينتابه، لأن الانفعال «استعداد فطري مؤقت، يخضع في حدوثه لظروف نسبية يزول بزوالها ولا بد لـــــه من مثير خارجي أو داخلي، ومن كائن يستقبل هذا المثير بجهاز عصبي سليم»[٢٦].

وفي قصيدة (خداع) التي جعلته يحمل نفساً ثائرة تصب غضبها على الحاكمين الظالمين، يقـــــول:

٢٣- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، مدحت سعد: ١١٣.
٢٤- دراسات في النقد الأدبي، د. كامل السوافيري: ١٧٣.
٢٥- الديوان: ٢١٥.
٢٦- النقد التطبيقي والموازنات، د. محمد الصادق عفيفي: ٤٣.

أيها الحاكمون قد طفح الكيل فما في الإناء ما يستزيدُ
جأرت ألسن المقاييس تشكو خرقها حيث للحدود حدودُ
أنصيب الشعوب بعد النضال الـ مرّ هذا المذّمم المنكودُ
أيها الحاكمون لستم من الشعـ ـب فأفعالكم عليكم شهودُ
أمن الشعب سارقٌ يفقر الشعـ ـب ويثري آلامهُ ويزيدُ[٢٧]

فنلحظ ان الشاعر ما ان دخل في تفصيل هذا التمرد حتى بدأ في تدوير البيت الثالث والرابع والخامس، وكأن الشطر الواحد من البيت ضاق على استيعاب المعاني المتدفقة التي تمور بها مشاعره، وبهذا يصبح التدوير إمكانية تعبيرية تعمل على الربط بين الإيقاع والمحتوى الفكري والعاطفي في انسجام تام[٢٨]. ليدل به على مدى ضخامة الوضع وفداحته فهو حاضر كلياً في هذا النص يتحدث عن تجربة ملموسة تفصح عن تسلط نظام جائر (المذّمم المنكود) على الشعب العراقي بعد سلسلة من النضال والتضحية معتمداً فيه الاستعارة المكنية (ألسُن المقاييس) جاعلاً للمقاييس ألسن تصيح من خرق الحد في تحميلها ما لا تطيق وبهذا يكون الوائلي قد وظّف الأداء البياني توظيفاً مؤثراً خدم تمرده السياسي.

أما نقد الوائلي للرؤساء العرب فهو صريح، يقول:

رُؤساء على الشعوب سباعُ ونعال خُدودهم لليهود[٢٩]

حاول الوائلي أن يستعين بالتشبه البليغ (رؤساء سباعُ) واللجوء للتشبه ينمُ عن حاجته إليه لشعوره بأنه «أكثر من غيره في إصابة الغرض ووضوح الدلالة في المعنى»[٣٠]. ويبدو القصد من هذا التشبيه هو تقبيح حال المشبه والنفور منه، إذ يمجهم ويحرض عليهم فتشبيههم بالسباع دلالة على القوة ولكن في غير موضعها فهي لفتك الشعوب وليس لمحاربة الأعداء. أما تشبيه الخدود بالنعال دلالة واضحة على الذلة والخضوع لليهود، ولعله حاول أن ينقل تجربته إلى ذهن المتلقي العربي ليجعله يرقب المشهد بدرجة عالية من التأمل والنظر بشأن حكامه العرب فإن الوعي «بالذات والوعي بالجماعة مسلمتان ينهض على أساسهما الفن المعاصر»[٣١].

نستطيع ان نقول أن التمرد السياسي عند الوائلي تشخيص ونقد كل التشريعات الصادرة من السلطة المخالفة لروح الإسلام، فضلاً عن فضح ممارساتها المجحفة بحق الإنسانية والإسلام، ومن جانب آخر فهو –بهذا التمرد السياسي– يمارس دور التعبئة الجماهيرية بعد أن يخلق في أجوائها فتائل الوعي ولغة التمرد وعدم الانصياع لهذه السلطة، وهكذا نلحظ أن تمرد الوائلي ليس (عبثاً لا معنى له)[٣٢]، وإنما كان تمرده واعياً، فالتمرد الواعي طالما يرتبط بالثورة والى ذلك أشار عبد العزيز شرف بقوله: «إن

٢٧- الديوان: ٢٠٢ – ٢٠٣.
٢٨- ينظر: البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد، حسن الغرفي: ٥٥.
٢٩- ايقاع الفكر: ٨٠.
٣٠- البلاغة العربية، المعاني والبيان والبديع، د. احمد مطلوب: ٢٨٩.
٣١- روح العصر: دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة / د. عز الدين: ١٢٢.
٣٢- كامو والتمرد، روبيردو: ١٥.

التمرد لا يكون شيئاً حتى يكون ثورياً. والعكس صحيح، فالثوري الذي لا يكون في الوقت نفسه متمرداً لا يتسنى له ان يكون ثائراً بحق» (٣٣).

ثانياً: التحريض على مواصلة النضال القومي:

لم يكن الوائلي بمعزل عما يحدث في الوطن العربي، فقد أعطى قضية النضال القومي اهتماماً خاصاً ومتميزاً مما يبين بجلاء ان تجاوبه معها لم يكن مجرد تجاوب عاطفي فلقد اكتسبت المسألة القومية مصداقية ملموسة ليس في أحساس الوائلي فحسب ولكن في وعيه أيضاً، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية التي أدت إلى «ولادة وعي قومي نضالي، يفرز أعداء الأمة في الداخل ويفضحهم ويقضي على فاعليتهم، بالقدرة نفسها التي تجعله يكشف أعداءه عبر البحار فيهدد مصالحهم و ويصفيها»(٣٤)، راجياً أن تعيش فلسطين وأهلها المشردون في منأى عن الاستغلال والهيمنة الإسرائيلية، وله في التعبير عن ذلك أربع قصائد استوعب بوساطتها القضية الفلسطينية من جميع جوانبها، فعندما حدثت نكبة فلسطين عام ١٩٦٧م كتب قصيدته (حديث فلسطين) ليذكرها بأن ما حل بها ليس نهاية المطاف، فما زال ثمة أمل في من يمتلك النخوة العربية والعزيمة اللاهبة ليساند الشعب الفلسطيني في استرداد أرضه، يقـــول:

فلســطين ما بخل المنفق ... ولا وهـن الـكـتـف الـمـرهـق
ولا مـات بـالـعـزمـات الـلّـهـيـب ... ولا أضـــظـلـم الأمـل الـمشـــرق
فشـــدي الأكف و غذي اللّهيب ... وخلّي اللّظى باللّظى يلحق
ولا تلبســـي اليأس زهو الزخرف ... وإن خســـر الشـــوط من أعقوا(٣٥)

ومن نماذج شعره قصيدته (من وحي النكسة)، مذكراً أمته بماضيها المجيد، أيام كانوا غزاة يزرعون الفتوح ويقرعون الصعاب حتى صنعوا النصر بأيديهم:

أمتي أرســت الخُطوب السُّــودُ ... فـاقـرعـيـهـا ولا يـلـيـنُ لـكِ عـودُ
أمـتـي واســألـي الـنـجـوم كـنـا ... غـزاة عـبـر الـنـجـوم نـرودُ
وزرعنا الفتوح في كُل فتحٍ ... فـلـنـا فـوق كُـلّ أرضٍ شـــهـودُ
وافترعنا الصــعاب بالســيف فأنهاّ ... رت لـديـنـا حـواجـزُ وســـدودُ
او قـرعـنـا الـزحـوف خـلـت ولـو ... أن سُـــر حاً على يدينا جريدُ(٣٦)

نلمح في النص أن هناك كناية بالتعريض، فالوائلي يعّرض بالثورة، فهو لما ذكر الأمة بماضيها المشرق وبطولاتها الخالدة وفتوحاتها التي حققتها وتجاوزها الصعاب والآلام والمحن وقرعها للزحوف، يوم كان سلاحها جريد النخل، أراد منها أن تثور على العدو الصهيوني الذي كان ذليلاً مهاناً، فهو يستلهم أبعاد الماضي ويحاول ان يستثمره في الحياة الحاضرة، مستعملاً الفعل (كُنا) ليشعر المتلقي بمكانة الأمة في سابق عهدها، وهذا الإحساس يمثل الانتماء الأصيل للعروبة.

٣٣- الرؤية الإبداعية في شعر عبد الوهاب البياتي، عبد العزيز شرف: ١٦٤.
٣٤- دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر، محي الدين صبحي: ٢٥٤.
٣٥- الديوان: ٣٤٠.
٣٦- م. ن: ٣٣٤ — ٣٣٥.

وفي قصيدته (رسالة الشعر) التي رسم فيها صورة لفلسطين في ظل ضعف وهزال الموقف العربي وسكوته، قال فيها:

هذي رحابُ القدس منذ ترنحت　　صرعى إلى زعقاتنا تتسمعُ
تصحو على نوءٍ فتتلع جيدها　　وتراه من خدع السّحاب فتهطع
عشرون كفّا حرةً ما أوقفت　　مهوى يدٍ مغلولة إذ تصفعُ(٣٧)

يجد القارئ لهذا النص الاستعارة المكنية في قول الشاعر (رحاب القدس ترنّحت)، وقد جعلها الشاعر فتاة يشير إلى تعب هذه الأرض فالقدس صرعى تستنجد ولا احد يجيبها سوى صياح العرب (زعقاتهم).

ومن ثم يتجه الشاعر إلى الكناية في قوله (عشرون كفا حرةً) محاولاً استثارة الضمير العربي، إذ كيف لا تستطيع الدول العربية بكثرتها أن تتغلب على اسرائيل وهو كيان عبر عنه الشاعر بالكناية (اليد المغلولة)، ومن هنا تضافرت الاستعارة مع الكناية في بيان الموقف العربي الهزيل.

أما في قصيدة (مأساة لبنان) فقد كشف لنا عن مأساة الشعب اللبناني، الذي مر بمرحلة تاريخية عصيبة، شهدت فيها اضطراباً في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وزرع بذور الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، بإتباع الاستعمار والصهيونية سياسة التدمير الذاتي للشعب بخلق بذور الطائفية فيما بينها وذلك لتمزيق وحدة الأمة العربية والقضاء على الحركة القومية الثورية فيها، وقد هزّ الوائلي ما آلت إليه أوضاع لبنان، فقد مورست فيها أبشع انواع القتل حتى هبطت الى مستوى الحيوانية الهمجية فوقف مستنكراً الحالة التي وصلت إليها قائلاً:

أتكون الجنان ناراً او هل في　　طبعه الناعم استبد الحريرُ
مدفعٌ ضابحٌ وأشلاءُ تدمى　　وصروحٌ يطالها التدميرُ
صور للأسى تعذر أن يشـ　　ـرح مقدار حجمها التعبيرُ
هبطت بالانسان عن رتبة الوحـ　　ـش وشالت بالوحش فهو أميرُ
ما لدينا الوحش اختيارُ وللنا　　س بما يصنعونه تخييرُ
أوَ هذا لبنانُ كلا ولو كا　　ن لضجَّ السنا و فاح العبيرُ(٣٨)

وفي القصيدة نفسها حرص الوائلي على وحدة الأمة العربية الإسلامية، فقد آلمه أن تستعر في لبنان حرب الأديان، فالأنبياء يحملون رسالة واحدة تمثل الشريعة التي ترسم للإنسان الأمان والسلام في الحياة الدنيا، ومن طبع الحروب أنها تجلب الويل والدمار لها:

قيل حربُ الأديان تحرق لبنا　　ن وما بينها صراعُ مريرُ
قلتُ عيسى وأحمدُ أنبياء الإ　　له والله واحدٌ والمصيرُ
ومن الجهل أن يعالج بالبا　　رود ما قد يحله التفكيرُ(٣٩)

٣٧- الديوان: ٣٢٨.
٣٨- الديوان: ٢٤٦.
٣٩- م. ن: ٢٤٨.

وقوله في قصيدة (سناء محيدلي) التي قالها بعد مرور أسبوع على استشهاد سناء في عملية بطولية ضد العدو الصهيوني؛ إذ اظهر الوائلي صدق انفعاله، مع نضال الجنوب اللبناني، فالمبادئ التي يحملها هذا الشعب ومنهم سناء تنتمي إلى جهاد الآباء والأجداد في الماضي إذ افترشوا الصعاب وجاهدوا بدمائهم حتى نالوا دنيا المجد، يقول:

هو المجد يا دنيا (سـناء) فغردي ... فأنتِ أريجُ الخُلد بل أنت أطيبُ
و ما مسـح الأذلال عن و جه أ مةٍ ... كمثل وريد با لدم الحُرّ يشـخبُ
ألسـنا كمثل الناس صـبحاً وعتمةً ... وفي افقنا شـمسٌ تهلُّ وتغربُ
تـقضـم مـنـا الاجـنـبـي بـنـابـه ... ومن اهلنا الحكام نابٌ ومخلبُ
فنحن بظفر الكاسـرين فريسـةً ... يُـمـزقـنـا هـذا وذلـك يـنـهـبُ
ونحن بكف الفاتحين منا هبٌ ... كرامتنا تُسـتامُ والأرض تسـلبُ
ونحن ضـياعٌ وامتهانٌ ومحنةٌ ... سـتبقى بها حتى يثور المعذّبُ
وقـادتـنـا لـيـلٌ وخـمـرٌ وسـامـرٌ ... ينضـرُ ليل المترفين وربربُ(٤٠)

وظف الوائلي التكرار في هذه الأبيات، فضمير المتكلم المتصل (نا) والضمير المنفصل (نحن) التي تكررت مرات عدة في النص إنما يريد أن يؤكد حقيقة تدل على أن المقصود بهذا كله المجتمع العربي الإسلامي، ووقوعه في أيدي تعبث به وبمقدراته، أما قادة العرب ففي نعيم وترف، تاركين شعوبهم يقاسون الذل والهوان والضياع، فكل هذه الأوضاع لابد أن تجعل العربي يثور ثورة المُعذب وبهذا أسهم التكرار في تقوية المعنى فبوساطته وصل الشاعر إلى ذروة تحريض الشعب العربي على الثورة فجاء منسجماً مع ما أراد أن يجسده.

وهكذا عبر الوائلي عن تمرده الدائم الذي نستشعر منه الهوية القومية العربية بتمجيده لمثل تلك المواقف والإشادة بها رافضاً الخضوع والاستسلام والهزيمة محرضاً الجماهير على مواصلة الكفاح والسعي لنيل الحرية، إذ هو يؤدي دوراً كبيراً في عملية التعبئة الثورية.

المبحث الثاني: التمرد الاجتماعي

إن العلاقة بين الشاعر ومجتمعه علاقة تفاعلية؛ فالانعكاسات التأثيرية التي يتلقاها الشاعر من بيئته يعني وقوعه تحت تأثيرات متنوعة داخلية وخارجية، فمؤثرات العصر والظرف الذي يتعرض له مجتمعه تتوجه نحو الشاعر متعاملة مع ميوله الفطرية وثقافته وعقيدته لتشكل من ذلك كله حقيقة حالة الشاعر المفرطة في حساسيتها في أثناء معالجته موضوع قصيدته بشعور وإحساس مرهف وصادق مكون مضامين متنوعة لقصائده(٤١)، لذا فإن لقصائد الوائلي صلة وثيقة بوجدانه متفاعلة مع مجتمعه المحيط به، كما كان لشعره «رسالة اخلاقية متعمدة والشاعر يتحدث فيه مباشرة الى مجتمعه ويعلن عن نقائصه من اجل انتزاع الانحراف»(٤٢)، وهذا يعني أن هناك علاقة متواشجة ومتبادلة بين الشاعر ومجتمعه، فهو يستمد

٤٠- الديوان: ٣٦٧ - ٣٦٩.
٤١- ينظر: الشعر بين الواقع والإبداع، صبيح ناجي القصاب: ١٠-١١.
٤٢- الشعر كيف نفهمه وتتذوقه، اليزابيت درو، ترجمة: د. محمد ابراهيم: ٧٥.

صورة من تراثه وبيئته وواقعه الذي يعيش فيه من طقوس ونظم وعادات وتقاليد وغيرها، لتكون بمجملها المادة الخام لبناء عمله الفني، فيستقي منها ما يراه مناسباً في عملية الخلق والإبداع.

لقد كان الوائلي شديد الارتباط بالتحولات الفكرية والسياسية والثقافية التي طرأت على بيئته، حاول أن يستلهمها ويكشف عن رؤيته اتجاهها، وقد شهدت تلك الحقبة من حياته اهتماماً بقضايا الإنسان وتوجهاته، فكان شعوره أكثر التصاقاً بالمشكلات الاجتماعية، وأكثر توغلاً فيها متبنياً الإصلاح الاجتماعي المتمثل بالأخلاق المثالية والقيم الأصيلة لتقويم السلوكيات الاجتماعية غير المنسجمة مع المفهوم الإسلامي خصوصاً في في المناسبات الاجتماعية والطريقة التي يتعامل بها المجتمع المسلم مع هذه المناسبات، اذ انحرف كثير من هذه المفاهيم عن المفهوم الإسلامي لها، ومنها (العيد) الذي اتخذ عند الناس معنى آخر بحسب المترلة الاجتماعية التي تنظمها طبقات الناس.

أما الرؤية الأولى فتنطوي تحت المفهوم البسيط الذي تشترك فيه العامة من الناس حسب المفهوم العاطفي للشاعر يقول في قصيدته (من أطياف العيد):

قد تعددت في معانيك ياعيـ ـــــد كُلّ جانحُ لك أفقُ
فبأحلام طفلتي أنت أثوا بٌ حسانُ الالوان حمرٌ وزرقُ
وأراجيح في الهوى ومواصيـ ل على نطّةِ الصّغار تنقُ
وبأحلامِ جدّتي أنت كعك ال عيدِ يُدمى بكفها ويرقُ
وحكاياً مزوّقات عن السُّلـ طان في مسمع الصغار تزقُ[٤٣]

واما الرؤية الاخرى للشاعر فهي تنتقد فئة من الناس اتخذت من كل أيامها ترفاً واعياداً، يقـــول:

وبدنيا المرفّهين لذاذا ت تنزى فيها على الاثم عرقُ
كُلّ ايامهم نعيم وأعيا د فما جدّي في صباحك فرقُ
خبروا أمتع اللذائذ فالبكـ ر عتيق حتى تجنينا ذوقُ
إنهم ما عملت عبءُ على الدّنـ يا يئدُّ احتماله ويشقُ
فإذا عُدّت المفاخر لم تعـ دم لهم زافراً و طبلاً يدقُ
أي فوضى في الكون أن يشمخ الزيـ ف وأن يدمغ المقاييس خرقُ[٤٤]

من هنا نستطيع أن نقرر ان الشاعر استطاع أن يتغلغل الى نفسية المجتمع الذي يطفو على السطح وظواهره من دون أن يسير كنه العيد الحقيقي المرسوم للناس وفق شريعة الدين الإسلامي بمنظار الأدب الإسلامي له، فالشاعر يمتلك عيناً نافذة إزاء من اتخذ درب الهوى من درب الضلال، فالعيد الحقيقي أبعد مما يفهمه الناس، اذ هو منهج أراد الله تعالى فيه أن يلتزموا بالصدق والعدل والحق حتى تسود الحرية بين البشر، فما أراد الله تعالى لها أن تستعبد حتى تعيش على هامش الحياة، يقـــول:

أيـهُا العيد أنت أبعد مّما نعتوه من النّعوت وشقوا
إن معنى تريده منك دنيا اللـ ـــــه أسمى مّما رأوا وأدقُ

٤٣- الديوان: ٢٣٥.
٤٤- م. ن: ٢٣٦.

لســـت بالعبيد او يســـود القوانيـ ـــــن بأيدي الحكام عدل وحقُ
و بأن يفهموا وكم تكشــف الأيـ ام أن الشـــعـوب لا تســـتـرقُ
وبـأن تـوســـع الـهـوامـش إبـعـا داً وان يـدخـل الـحـيـاة الأفـقُ
فـتـرقّـب اولاً فـذي خـدعـة الأحـ ـلام أنّ العرجون في النخل عذقُ[٤٥]

وفي قصيدته (لغة السياط) ينطلق منها من موقع الحرص على وحدة المسلمين إلى نقد وضع المسلمين الحالي، وإنكاره انطلاقاً من إيمانه الديني الذي ينبذ الفرقة والتنازع الذي يشتت شمل المسلمين الذين تجمعهم رسالة سماوية واحدة، إذ إن الاتهام الذي يطول البعض لا تتفق مع ديننا الحنيف الذي يحرم قذف المسلمين على أساس الهوى والعصبية، يقول فيهـــا:

مـن أنـاس تـرفّـع الـذّم عـنـهـم وأبـى أن يـنـالـهـم تـحـلـيـلا
إبـل مـالـهـم مـن الـفـقـه والـقـ ـرآن شـــيء ليعرفوا التدليلا
شـــتموا فانبرت لهم شـــتماتٌ ومن الجهل أن تجيب الجهولا
فوقفنا لبعضـــنا البعض نهدي الكفـ ـــر ثوباً مفصّـــلاً تفصـــيلا
إن هـذا مــن الـروافـض يـرتـا د قـبـوراً ويـكـثـر الـتـقـبـيـلا
ثُـم هـذا مشـــبـه جســـم الـلـ ـــه وقاس الأبعاد عرضـا وطولا
ورقـــيـــع يـــرى الـعـــبـــاد ذكـراً راقصـــاً او يلحنُ التهليلا[٤٦]

ويرد عليهم الشاعر ويحاججهم في الذي زعموه بأسلوب جدلي، وفق رؤية إسلامية بقولـــــه:

أيها المشـــبهون مهلاً فإنا نـعـبـدُ الـلـه جـمـلـة وفصـــولا
ربـــنـــا واحـد وقـبـلـتـنـا وتـــ ـرٌ وتـقـفـو كـتـابـنـا والـرّســـولا
واذا مـــا أبـــيـــتُـــمُ فـــإلـــى دا ئرة السّـــوء مســـلكاً ومقيلا
لا تـكـونـوا لـنـا غـداً شـــفـعـاءً او تـردّوا عـنـا الـكـريـة الـوبـيـلا
إننا كُلنا غداً في رحاب اللـ ـــــه نســـترحم العطاء الجزيلا
فدعونا نعيش في هذه الدّنـ يا بحســـن الجوار عمراً قليلاً[٤٧]

ويعالج الشاعر بالنقد الإصلاحي الوضع الذي آلت إليه فتاة اليوم، فقد ألقت الحياء وكشفت مفاتنها أمام الناظرين، فلا رادع يردعها ولا خوف من الله تعالى، يقول في قصيدته (فتاة اليوم):

فتاةُ اليوم ضـــيعت الصـــوابا وألقت عن مفاتنها الحجابا
ولـم تـأبـى حـيـاء مـن رقـيـب ولـم تـخـش مـن الـلـه الـعـقـابـا
بربك هل ســـألت العقل يوماً أهـذا طـبـع مـن رام الصـــوابـا
أهـذا طـبـع طـالـبـة لـعـلـم إلى الإســـلام تنتســـب انتســـابا
فما كان التقدم إن كشـــفتي مفاتنك واشـــغلت الشـــبابا

٤٥- الديوان: ٢٣٧.
٤٦- م. ن: ١٩١.
٤٧- الديوان: ١٩١ – ١٩٢.

وأظهرت لنا ساقاً وصدراً ... وشعراً منه قلب الطفل شابا
وزينت اللمى والوجه حقاً ... فأكملت بزينتك النصابا
ولا كان التقدم صبغ وجه ... ولا كان التبرج منه بابا
مفاتنك كنوز فاحفظيها ... وهذا الكنز حاشا أن يُعابا
فوقت ضاع في تجميل وجه ... لأجدر أن ترى فيه كتابا
سجايا الغرب أختاه اتركيها ... فبالأخلاق أحدثت الغلايا[٤٨]

إن هذه الأبيات تحاكي الواقع المعاصر وتفجر ثورة انفعالية مكبوته في داخل الشاعر إزاء وضع المجتمع المزري، فضلاً عن ذلك فإنها تنطوي على مضمون رسالي يهدف إلى غاية أخلاقية، كما نلحظ أنّ المبادئ التي يسوقها الشاعر عميقة في فكرتها وتحمل رسالة اجتماعية صادقة، لذا يحذر الشاعر الفتاة من الشباب الذين في نظره هم ذئاب، ويدعوها دعوة أبوية حانية في ان تعود الى صوابها وتتوب الى الله، يقول:

شبابُ اليوم يا أختي ذئاب ... وطبع الحمل أن يخشى الذئابا
أناشدك يقيناً أن تعودي ... فإن عدت فأعطيني الجوابا[٤٩]

ويكشف الشاعر الغطاء لأولاده عن الدنيا، ويحذرهم منها ومن وجهتها التي انحرفت فيها عن المسار الصحيح، إذ إن الشاعر يمتلك تجربة خبر فيه الواقع المرير الذي يرزح الناس في ظله، إذ ينطوي إنكار الشاعر على نقد صريح للذين أغرتهم مفاتن الدنيا وبهرجها واستثنى منهم ثلة من العباد الصالحين، إذ اعترف الشاعر بأن وجودهم يعد تحدياً لكل واقع يحمل الشر والرذيلة في جوانحه، يقول مخاطباً ابنتيه (جُمانة و خولــة):

أصغيرتيَّ ستكبران وعندها ... تريان مدرسة الخداع الأبشعِ
تريان بعض الفكر يشتمُ طامعاً ... لكنه ببخسٌ يباعُ بمطمعِ
وصحافة تمجيدها لحقائقٍ ... لكنها تمشي بركب المدّعي
ومفقهٌ يُفتي بعزل ابن الزنا ... لفظاً وبالأفعال يتبعُ الدّعي
ويشادُ تاريخٌ على زورٍ وتعظيم على ... وهمٍ ومجدُ من هوى وتصنعِ
فتخيرا إما حياة دونما ... عقل وإما كُفر ذلك أجمعِ
هذي هي الدنيا ولولا ثُلة ... صلحاء ساروا في طريق مهيعِ
لكفرتُ بالدنيا وعشتُ بغابةٍ ... فالغاب ما ستر النفاق ببرقعِ[٥٠]

وفي رباعياته (سوانح) يعرض لنا أنموذجاً له دلالته من النفس الإنسانية التي انقلبت فيها طباع الإنسان وأضحت شبيهة بالذئب فعمد إلى وسيلته هذه للحصول إلى الحكمة التي يريد إيصالها إلى المتلقي، لأن

٤٨- قرص ليزري (CD): قصيدة (فتاة اليوم)، الدكتور الشيخ احمد الوائلي.
٤٩- قرص ليزري (CD): قصيدة (فتاة اليوم)، الدكتور الشيخ احمد الوائلي.
٥٠- الديوان: ٣١٩.

«الشعراء يتوسلون الحكمة للكشف عن دواخل نفوسهم، وما يعانونه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك الناس، فالشاعر يتخلص العبر له وللآخرين»[٥١]، يقـــول:

هل دريت الإنسَــان والذئب جنـ ... سٌ واحدٌ يـجـمـعـهـمـا بـالأعـراقِ
غـيـر أن الـذئـاب تـعـوي وأولا ... ء يـنـاغـون فـي حـروفٍ رقـاقِ
وصـفات الذئاب تفتك بالغا ... ب وأولاء فـتـكـهـم بـالـرّواقِ
إشـمخي يا صـراحة الذئب فالأنـ ... ســان خبٌّ منافق بالنفاقِ[٥٢]

كما وجد الوائلي أن أفراد من المجتمع يفتقدون الى القيم الروحية، فقادهم ذلك الى صعوبة التكيف الاجتماعي والنفسي، ونفورهم من الحياة المعقدة[٥٣]، التي ولدت لدى الشاعر مشاعرا اعتزالية حادة تجاه جيل افتقد المبادئ التي يحملها الدين الإسلامي، فغدا كالهيكل المفرغ من المضمون، يقول:

فليت ظلالي دام في ميقة الصّـبا ... ولا حال في الشـيب يوماً إلى الهدى
ولا نضـجت مني مدارك أبصـرت ... لهذي الدّنا وجهاً كريهاً مُعقدا
ولا عشـــت جيلاً كلّ آن له هوىً ... تنصّـر صـبحاً ثم عصـراً تهوّدا
تمرّس في التمثيل حتى تخاله ... لهُ كلُّ آن مظهرٍ قد تجســدا
ومن نكد الأيام أن تحســب الذي ... تحوّل حرباءً حصـيفاً مُســددا
وأن تتلاشـى في الحياة مبادئُ ... أخال الدُّنا والحقّ من دونها سُدى[٥٤]

ويصل به الضيق ببعض ثُلة من الناس حداً كبيراً يؤدي به إلى التشاؤم معه حتى من الدنيا التي يعيش الناس في إبعادها فيذر نصاً لايخلو من مؤاخذة ولعله قاله في فترة عصيبة، بل في ليلة سوداوية الطالع انطوت على مزاج متعكر فيقول:

أفهذه دنيا يعيش الناسُ في ... أبـعـادهـا أم مـبـرك لـلـنّـوق
وأولاءِ نـاس أم هُـم الأنـعـام فـي ... ثوبٍ من التجميل والتزويقِ[٥٥]

كما انتقد الدنيا التي تقودها الانصاب والنكرات فلا يريد ان يطيل الكلام عنها فحسب الفم طهراً تجنبها:

ويـقـيـنـي أن الـمـمـات نـعـيـمٌ ... جنبَ دنيا تقودها الأنصــابُ؟
أهي دنيا تلك شـــيخها معـ ... تـوه او عـبـقـريـهـا خـرنـابُ؟
أهـي دنـيـا تـقـاد مـن نـكـرات ... ورعيل يجلُ عنه السّـــباب؟
لا أطيل الكلام عنها فحســب الـ ... فم طهراً في ترك ما هو عابُ[٥٦]

٥١- الحكمة في الشعر الحلي الحديث، دراسة لغوية دلالية، أسعد محمد علي النجار: ١٢.
٥٢- الديوان: ٢١٣.
٥٣- ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، د. ماهر حسن: ١١٠.
٥٤- الديوان: ٣٠٦.
٥٥- م. ن: ٢٨.
٥٦- الديوان: ٣٦.

ويستمر في بيان معرفته بالحياة البشرية وما ضمته، قائمة على الخبرة بالنفس الانسانية، ومساوئها الظاهرة من زيف وخداع وسراب فتزداد الحياة قتامة بقولـــه:

وعرفتُ الحياة في كل ما ضــمته   زيـفـاً وخـدعــةً وســـرابـا[٥٧]

كما يستهدف الوائلي من التعبير عن النفس الإنسانية التي تحمل في داخلها نزعتين، نزعة الخير ونزعة الشر، إذ إن الوائلي يحترم الفكر الذي يصدر في كتاباته عن أمانة وإخلاص، وما شهده عصره من تزييف على حساب الحقيقة، جعل الوائلي يتخذ موقفاً رافضاً ازاء ذلك، فما يبطنه الإنسان يظهر في سلوكه الظاهر وعمله، يقول:

وأقلام هذي النّاس كالنّاس نفســها   ففي بعضها رجس وفي بعضها طُهرُ[٥٨]

وفي قصيدة (خطرات في العيد) تتضح لنا فيه تجربته الاجتماعية من المجتمع وهو «نهج بين في شعر الوجدانيين. . . ، أن ثمة شعوراً طاغياً في نفوسهم يجهد أن يتلمس طريق الأنعتاق من العالم المحيط بهم، وفشل هذا الشعور الضاغط يبرز حين يبلغ عدم التكيف مع تركيبة البنية الاجتماعية درجة لا يمكن معها أن يتحقق انسجام، ولو بدرجة متدنية»[٥٩]، ذلك أن الامة التي تطأطئ رأسها وتذل نفسها لأجل مكاسب دنيوية على حساب من لا يملك شيئاً، تمثل صورة من الواقع الاجتماعي المرفوض من قبل الشاعر، يقـــول:

هـكـذا عـيّـدوا ورحـت كـمـا قـيـ   ـــــل غريباً كصـــالح في ثمود
وعـلـى مـقـلـتـي لـفـتـة حـيـرا   ن قصـــي عن الصّـــحاب وحيد
لســـتُ أدري كيف انفردت منهم   جبلت طينتي وصـــبغ وجودي؟
وســـواءُ كـنـتُ الـمـمّـيـز أم كـا   نوا فقد بان نجدهم عن نجودي
فســـماوا تهم وإن مُلئت شـــهـ   باً فخير منها حصّى في صعيدي[٦٠]

وفي قصيدته (الأمس واليوم والغد) لم يجد الوائلي من جيل الزمن الحاضر نهجاً فكرياً يسير على خُطاه فيرتقي به كما كان جيل الأمس من قبل، إلا أنه يـــؤمن بأن مـــا مضى لا يعود وإن كانت الروح تنزع نحوه، والنص الآتي يبين حالة التمرد التي تعتمل في داخل نفسية الشاعر إزاء الماضي والحاضر اللذين يحملان مفارقة ضديه، اذ جاء غدهُ يشكو تمرّد حاضره يقـــول:

وإن أكُ خلتُ الأمس ضـرعاً محفّلاً   وروضـــاً أنيقاً نورته شـــموعُ
فذاك لأني عاد يومي مظلماً   وجفّـت يـنـابـيـع بـه وضـــروعُ
وأيقنت أمســـي لا يعود وإن يكن   بـنـفـســـي إلـيـه لـهـفـةٌ ونـزوعُ
وجاء غدي يشـــكو تمرّد حاضـــري   عليه ابتزازاً فهو فيهِ جزوعُ[٦١]

٥٧- م. ن: ٤٥.
٥٨- م. ن: ٣٠.
٥٩- رماد الشعر، د. عبد الكريم راضي جعفر: ٨٦ – ٨٧.
٦٠- الديوان: ٢٣٢ – ٢٣٣.
٦١- م. ن: ٣٠٠ – ٣٠١.

كما كان الوائلي شديد التحسس والنفور من (أدعياء العلم) الذين يرومون تحقيق غاياتهم ومنافعهم الشخصية بعد أن يتلبسوا بالعلم وزي العلماء محاولين استغفال البسطاء من ابناء المجتمع؛ ولذا فهم يمارسون شتى ألوان التملق والرياء والمداراة من دون أي حياء وخجل؛ فكانت نفسه الأبية ترفض هذا الأسلوب وهذه الألوان المخجلة؛ ولذا نراه يحذّر من هؤلاء ويقـــــول:

نجفي أفتدي خميلك والأغـ صـــان فيه من زاحفات الزّمول
ومن الشّــوك راح يغزوه والسّــعـ دان يمتد فيه عرضـــاً بطولِ
قد مشـــى يزحم الورود فباتت وهي خجلى ملمومة في ذبولِ
وأُضــيع المقايس فيها فأمســت وهي مهد الأصــول دون الأصــول
واشـــمخرّت فيها أناس فأضــحت لســـت ادري صـــدورها من ذيولِ
أيّ طعم للتمرات نفق الحنـ ـــــظل ام ايّ ميزة للنخيلِ
خدعوها بالشــكل زوراً كما تُخـ ـــــدعُ يوماً بالبوِّ أمُ الفصـــيل
ربّ صُـــن بلدتي حقائق فضـــلٍ وقها من مواكب التضـــليل[٦٢]

وتنمو نوازع التمرد في صدره جراء سوء الأخلاق الجماعية في ما شاع من غدر تبرأت منه حتى الحيّة كما استنكفت من فعله العقرب استكباراً أو آنفة، إذ يقـــول:

كـم بـرئـتْ مـن غـدرنـا حـيّـةٌ واســتنكفت من فعلنا عقربُ[٦٣]

وتظل أفكار الوائلي في التمرد تعلو قائلاً:

فـإذا رمـت أن تـكـرمـك الـدّنـ يـا وتـمـتـدٌّ فـي خـبـاب مُـهـابِ
فـتـمـرّد عـلـى تـمـائـم رهـطٍ مـا بـهـم غـيـرُ نـافـعٍ بـجـرابِ
ما لتحصـــيل الفوز في شــرف الغا ية كالســـيف من دعاءٍ مجابِ[٦٤]

فقد كان تمرده نابعاً من موقف فكري وايديولوجي سواء على المستوى السياسي أم الاجتماعي؛ إذ لم يعد الشعر منه بشكل خاص طرباً وغناءً بقدر ما أصبح فكراً وموقفاً مُتمخضاً عن هذا التمرد.

خاتمة البحث ونتائجه

بعد هذه الدراسة التي تناولنا فيها نزعة التمرد في شعر الشيخ (أحمد الوائلي) لا بد لنا من وقفة نجمل فيها أهم النتائج التي استقطبها البحث، وتتلخص في الآتي:

١- ظهر أنّ تمرد (الوائلي) كان نتيجة لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية أثرت سلباً في الواقع الذي عاش فيه، فكان التمرد وسيلة لنظم الحياة على نمط جديد يوافق الوصول إلى التحرر؛ فعبر في قسم من شعره عن الرفض والتمرد إزاء ذلك الواقع بالمواجهة والتحدي أما في القسم الآخر فقد وجد في الهرب من الواقع والعزلة وسيلة يعبر بها عن تمرده.

٦٢- الديوان: ٤٧٦ — ٤٧٧.
٦٣- م. ن: ٣١٢.
٦٤- م. ن: ٢٤٥.

٢- ساعد تمرد الوائلي في تحريك الفعل الثوري وذلك في حثه الآخرين على التمرد والثورة متخذاً من النص سلاحاً، معبراً فيه عن حقه بالثورة، لهذا اكتسب تمرده القوة بوصفه جاء في وقت لم يكن من السهل ان يقول الشاعر كلمة الحق من دون أن يُشرد أو يُنفى.

٣- كشف البحث عن نوعين من التمرد في شعر الوائلي، هما:

أ- التمرد الايجابي: ونعني به التمرد الذي قاد فيه الوائلي جمهوره إلى المواجهة والتحدي والثورة لتغيير وضع او حالة، أما بوضع البديل الممكن أو الحث على الإبقاء على موقف المعارضة، ليعطي تمرده قيمة موضوعية تتمثل في استجابة الجماهير له، ومن ذلك تمرده على الحكام وعلى نقد الواقع الاجتماعي.

ب- التمرد السلبي: اكتفى الوائلي في قصائد عدة بعرض حالات مرفوضة وأوضاع متردية، كانت أشبه بالتأملات والتداعيات الذهنية التي جاءت عرضاً لصورٍ من الحياة، لم يتذمر فيها أو يعلن تمرده، وإنما أظهر فيها تشاؤمه وتأزمه، ويبدو أنه أراد لفت نظر المتلقي إلى واقع الحال كما هو من دون بديل، وتوثيق الحالات السلبية في الواقع ليثير نزعة التمرد عند المتلقي.

٤- أثبت البحث أن الوائلي لم يكن بمعزل عما يحدث في الوطن العربي، فقد أعطى قضية النضال القومي اهتماماً خاصاً، إذ أسهمت قصائده في التحريض على مواصلة النضال القومي، وذلك ليهيئ متلقي شعره لأن يضم صوته إلى صوت الجماعة لتشكيل موقف أنساني.

٥- كان تمرده نابعاً من موقف فكري وأيديولوجي سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي بوصفه أداة من أدوات التغيير والتوجيه لما يمتلكه من وسائل قوية وفعالة في تنبيه الجماهير إلى حقيقة واقعها وتوعيتها بمصيرها.

المصادر والمراجع

١. اصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات أخرى، د. عناد غزوان، منشورات مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، صنعاء – اليمن، ١٩٩٨م.

٢. أمير المنابر، صادق جعفر الروازق، مطبعة شريعت، ط١، ٢٠٠٤م.

٣. الانسان المتمرد، البير كامي، ترجمة: نهاد رضا، منشورات عويدات، ط٣، بيروت – لبنان، ١٩٨٦م.

٤. ايقاع الفكر، د. أحمد الوائلي، دار الصفوة، ط١، بيروت –لبنان، ١٩٩٣م.

٥. البلاغة العربية، المعاني، والبيانوالبديع، د. احمد مطلوب، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

٦. البنية الايقاعية في شعر حميد سعيد، حسن الغرفي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٩م.

٧. الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، د. ماهر حسن فهمي، (د. ط)، (د. م)، ١٩٧٠م.

٨. دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر، محي الدين صبحي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢م.

٩. دراسات في النقد الأدبي، د. كامل السوافيري، مكتبة الوعي العربي، ط١، ١٩٧٩م.

١٠.ديوان الوائلي، شرح وتدقيق: سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ، ط١، بيروت –لبنان، ٢٠٠٧م.
١١.روح العصر، دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، د. عز الدين اسماعيل، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ١٩٧٨م.
١٢.الرؤيا الأبداعية في شعر عبد الوهاب البياتي، عبد العزيز شرف، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢م.
١٣.رماد الشعر، د. عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٩٨م.
١٤.الشعر بين الواقع والإبداع، صبيح ناجي القصاب، دار الحرية للطباعة، (د. ط)، بغداد، ١٩٧٩م.
١٥.الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره، الفنية والمعنوية، د. عز الدين اسماعيل، دار العودة، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٧٢م.
١٦.الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابيت درو، ترجمة: د. محمد ابراهيم الشوس، مطبعة عيتاني الجديدة، بيروت – لبنان، ١٩٦١م.
١٧.الشعر والثورة، د. جلال الخياط، دار الحرية، للطباعة، بغداد، ١٩٧٤م.
١٨.الصورة الشعرية عند ابي القاسم الشابي، مدحت سعد محمد الجيار، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.
١٩.العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م.
٢٠.كامو والتمرد، روبيردو لوبية، مطبعة دار الآداب، بيروت – لبنان، ١٩٦٤م.
٢١.لسان العرب، ابن منظور، صححه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، لبنان– بيروت، (د. ت).
٢٢.المعجم الوسيط، لجنة من علماء اللغة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مراجعة الاستاذ عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م.
٢٣.النقد التطبيقي والموازنات، د. محمد الصادق عفيفي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨م.

الرسائل الجامعية:

١– العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد، خولة محمد زايد، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، كلية العلوم التربوية، ١٩٩٥م.

الدوريـات:

١– الحكمة في الشعر الحلي الحديث، دراسة لغوية دلالية، اسعد محمد علي النجار، مجلة جامعة بابل، ع١، كانون الثاني، ٢٠٠٠م.

الأقراص الليزريـة:

١– قصيدة (فتاة اليوم)، الدكتور الشيخ أحمد الوائلي.